الفكر المنظومي للجودة الشاملة في تطوير التعليم والتعلم الجامعي والبحث العلمي وأثره في كيفية مواجهة تحديات العولمة

(الجزء الأول)

حسن بن عبد القادر البار

برنامج الجودة الشاملة – ص.ب ٨٠٢٠٠ – جده ٢١٥٨٩ – المملكة العربية السعودية
Hassanalbar@hotmial.com

يهدف هذا البحث إلي إبراز إحدى الطرق الحديثة المسماة بالمدخل المنظومي في التعليم والتعلم. وكيفية استخدام المنظومية في ابراز أهمية الجودة الشاملة في التنمية الوطنية بصورة عامة. ونخص هنا في الجزء الاول من هذه السلسلة من البحوث الأدبية والفلسفية .... مدي ترابط الجودة الشاملة مع المنهجية المنظومية في تطوير المعلم والتعليم الجامعي ، كنواة من انوية الدولة التي تعمل على تطوير التعليم لتعطي ثمارها في المستقبل عند النهوض بتطوير وتحسين جودة أنشطة الدولة ، وذلك لمواجهة تحديات وسلبيات عصر العولمة عند التسلح بأسلحة العلم والصناعة وفكر إيجابيات العولمة ، وذلك لعدم الوقوع في فخ الإنعزالية عن دول العالم أجمع بمعني الإنعزال عن العولمة.

تم تطبيق منهجية العلاقات المنظومية في تطوير عضو هيئة التدريس بمركز تطوير التعليم الجامعي بجامعة الملك عبد العزيز منذ عام ١٩٩٢ والتي توضح كيفية الاستفادة من برامج إدارة الجودة الشاملة (١-٣) من ناحية أسلوب التدريس الجامعي وتقييم الاختبارات وكيفية وضع الشكل العام لنماذج الاختبارات وتقييم الطالبة ....الخ. كما استحدث المدخل المنظومى فى التدريس والتعلم في مصر منذ عام (١٩٩٨) (٤) واستخدم بنجاح فى تدريس وتعلم علم الكيمياء بمرحلتى التعليم الجامعى والعام بمصر (٥-١٠). كما شاركنا بعدة بحوث في العديد من المؤتمرات العالمية والمحلية عن استخدام المدخل المنظومي في التعليم والتعلم (١١-١٣)، كما تم تطبيق المدخل المنظومي على منهج مادة الكيمياء للصف الأول ثانوي (سلسلة المنار السعودي) (١٤ و ١٥). وتم عرض سلبيات وإيجابيات العولمة والتحديات التي تواجهها الدول الإسلامية باستخدام الفكر المنظومي (١٦و١٧). وتم تسليط الضوء على منهجية المنظومية البحثية (١٩٩٨) في كيفية مواجهة مخاطر الكيماويات وعلاقة قطاعات الدولة بنوعية ومخاطر المواد الكيماوية والتي تصنف كأسلحة دمار شامل ومواد غازية سامة ومواد كيماوية صلبة وسائلة قابلة للاشتعال تحت ظروف معينة ، وعلاقة مخاطر المواد الكيماوية والمناطق الصناعية بالدولة وكيفية استخدام برامج الجودة الشاملة في التصدي لمثل هذه المخاطر في السلم والحرب (١٨).

والجودة الشاملة ما هي إلا منظومة تربط بين أغلب قطاعات الدولة الواحدة ويمكن تحديد مفهوم الجودة الشاملة بمنهجية العولمة بانها منظومة الجودة الشاملة التي تربط جميع انظمة دول العالم بأسره كقرية كونية ومن يستخدم انظمة وقوانيين مخالفة عنها سوف يعتبر جزء منعزل عن العالم تماماً. لذا ننصح بان لا نقع في مأزق

الانعزالية والخروج عن الأرتباط العالمي دون المساس بمنهجية الاسلام فهي هويتنا المميزة عن بقية ديانات وأعتقادات دول العالم الأخرى. حيث أشارت توصيات ورشة العمل المنبثقة عن المؤتمر العربى الثالث عام ٢٠٠٣م (١٣) بالأخذ فى الأعتبار فى بيئة المجتمعات عند وضع وتطوير مناهج التعليم العالي (الجامعي الاكاديمي أو التطبيقي) والعام (التربوي أو الفني أو الفلسفي أو ...). ويقصد ببيئة المجتمع هي العادات والتقاليد ومن ضمنها المعتقدات الدينية و/أو الدنيوية التي هي جزء لا يتجزأ من منهجية التعليم والتعلم. ونعتقد انها معادلة صعبة وهي الوصول لوضع وسطي بين عولمة الغرب وعادات وتقاليد مجتمعات العالم. ولكى يمكن التماشي مع إيجابيات العولمة وأنظمة التعليم وتطويرها باستخدام برامج الجودة الشاملة المميزة للإنخراط بأنظمة العولمة دون المساس بعاداتنا وتقاليدنا الدينية.

ومما سبق يمكن الانطلاق في توضيح ماهية الجودة الشاملة وعلاقتها بشكل عام مع مختلف قطاعات الدولة في شكل منظومي منهجي مبسط على النحو التالي:

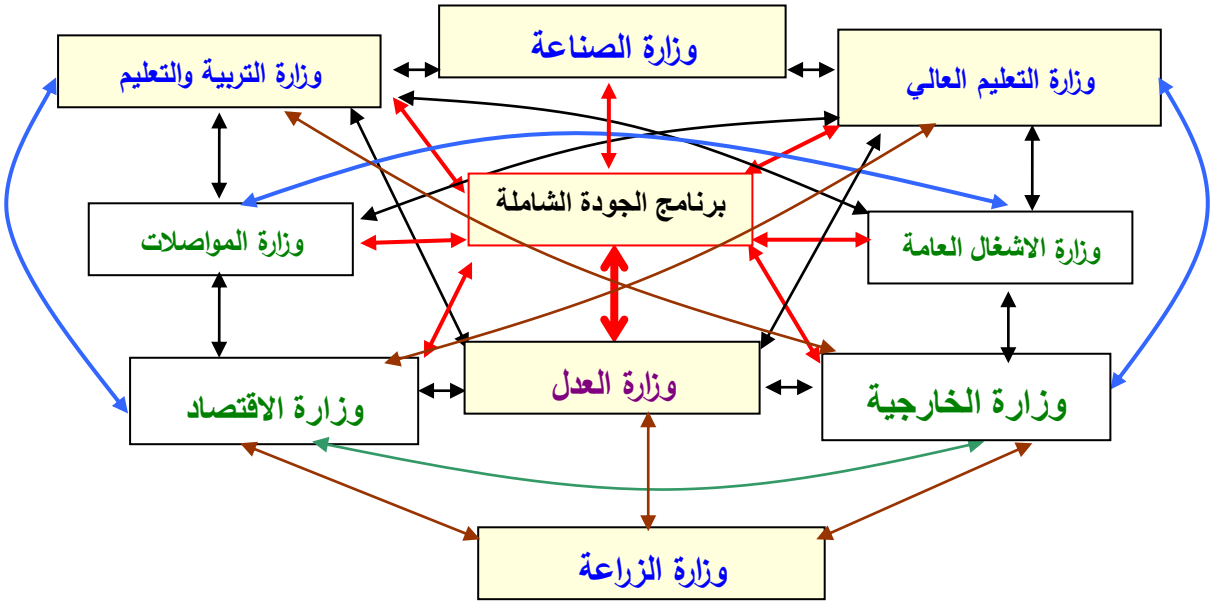

حيث تعتبر الجودة الشاملة ما هي إلا سلطة غير تنفيذية تستقبل برامج وخطط قطاعات الدولة المختلفة وتتعامل معها وتطورها ودراسة نتائج هذه الخطط على المدي القصير والبعيد ثم وضعها في إطار تنفيذي أمام ولى الامر لمصلحة التنمية الوطنية الشاملة التي تتماشي مع منظومية العولمة وإيجابياتها المعلوماتية على سبيل التوضيح.

ويعتمد تطوير الجامعة على بعض العوامل للوصول إلى مستويات علمية وبحثية رفيعة المستوي (لمواكبة عولمة التعليم ووسائل التعليم والتعلم الحديثة المنبثقة من عولمة المعلوماتية) على ثلاثة جهات تبرزها المنظومة

التي تربط كل من: (١) تقييم إدارة الجودة الشاملة و(٢) عمادات الكليات ومراكزها و(٣) إدارة الجامعة العليا على النحو التالي:

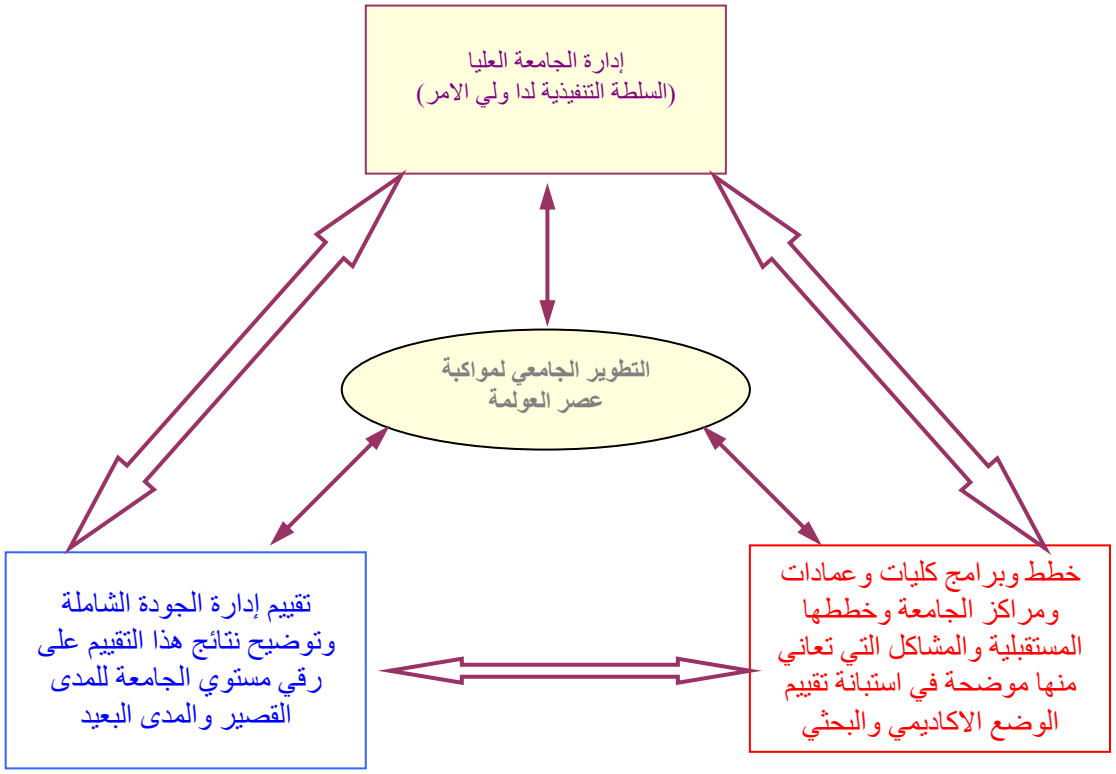

فنلاحظ ان إدارة الجودة الشاملة هي حبل الوصل بين إدارة الجامعة العليا (تنوب وتأخذ توجيهات من ولى أمر الدولة) وبرامج وخطط كل من الكليات والعمادات والمراكز بالجامعة ، وليس لها أي سلطة تنفيذية ولكن لها الحق في توجيه وإرشاد الكليات والعمادات ومراكز الجامعة في كيفية وضع البرامج والخطط المستقبلية للنهوض بمستوي أداء أعضاء هيئة التدريس وبرمجة خطط الموارد البشرية التي تحتاج لها الجامعة من إداريين وفنيين وإقتصاديين وتخصصات علمية وأدبية دقيقة لتغطية أغلب المجالات العلمية والتقنية والادبية والأقتصادية والإسلامية ..... وذلك لتفريخ نوعية جيدة ومتميزة من الخريجين لتغطية مجالات العمل بالدولة . بجانب حث كل من أعضاء هيئة التدريس ومن في حكمهم وعمادة شؤون الطلاب لغرز الامانة في نفوس أبنائنا وإنتمائهم لوطنهم ، حيث ينعكس هذا على تطور الدولة ويمدها بالعون والقوة لمواجهة تحديات العصر الخاص بسلبيات العولمة الغربية مثل الاباحية والتهاون في الديانات السماوية وتغيير فكر حضارات الدول الحالية بدس سلبيات العولمة فيها. والمنظومة التالية توضح مدي أهمية مفهوم الوسطية (وهي ممثلة بإدارة الجامعة العليا وإدارة الجودة الشاملة) التي يقع على عاتقها أمانة الاهتمام بمستقبل المستوي الأكاديمي والبحثي والمستوي العلمي والتطبيقي لطلاب الجامعة ومدي أمانتهم وإنتمائهم لتخصصاتهم ولجامعتهم ، وهذا ينعكس على ادائهم وتصرفاتهم في المجتمع ، وبالتالي يظهر مدي تطور الدولة من ناحية التعليم الذي يؤثر بشكل رئيسي على كل من أقتصاد وثقافة الدولة. فإذا تم غرس الأمانة والإنتماء للوطن في خريج الجامعة أو أي منفذ تعليمي فسوف يعمل على رفع

مستوي تطور دولته، مما يساعدها على مواجهة تحديات عصر عولمة التعليم والعولمة الثقافية السلبية التي تؤثر بشكل كبير على أبنائنا وتغير من فكرهم الاخلاقي والتربوي وقد يصل التأثير على عقيدتهم واخراجهم من مبادئ كيفية التعامل في الاسلام وفقد الامانة ووو.....الخ. فالمنظومة التالية توضح تلك المسارات مثل الشرايين والأوردة وكيفية اندماجها في الجسم وعلاقة كل منها بالأخر مثل تبادل الأكسجين وثانى أكسيد الكربون فى عملية التنفس في منظومة تجعل الجسد سليم لا يعاني من أزمات أو ذبحات صدرية أو.....الخ.

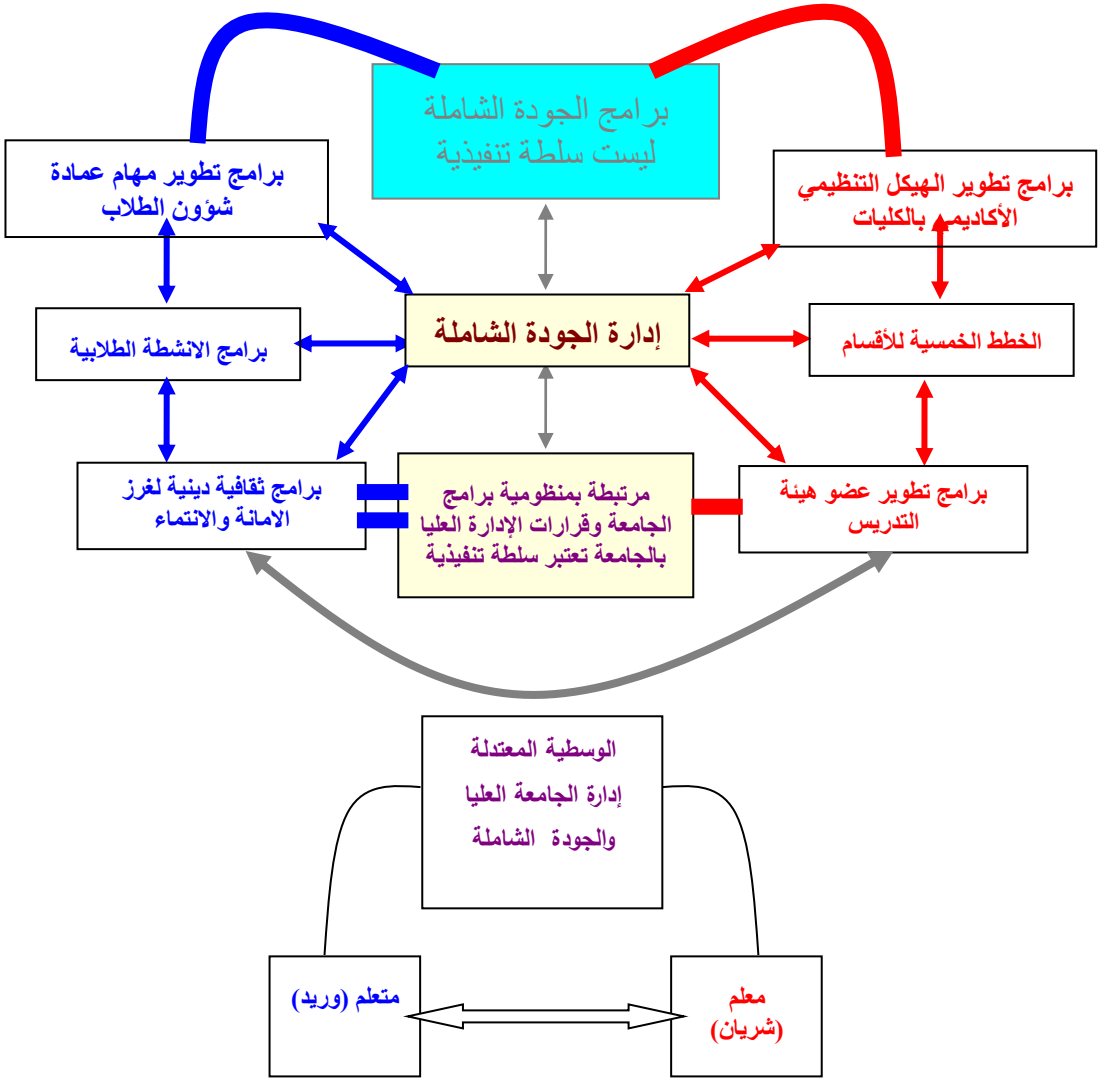

كما يوجد عامل آخر من العوامل الرئيسية في رفع مستوي الجامعة لتصل إلى مستوى تستطيع مواجهة تحديات سلبيات فكر العولمة وهو البحث العلمي الذي له دخل رئيسي في التطوير التربوي والاكاديمي والصناعي والتجاري والزراعي والطبي والثقافي والادبي وتعميق روحانيات العقيدة التي تظهر في أمانة وإنتماء الإنسان وسمو مقاصدة. والمنظومة التالية توضح كيفية ربط منظومة البحث العلمي مع كل من :

(١) التربية والتعليم العالي.

(٢) السلطة التنفيذية الممثلة لإدارة الجامعة العليا والسلطة الإرشادية الممثلة لإدارة برامج الجودة الشاملة

(٣) الموارد البشرية والثروات الوطنية والإمكانات:

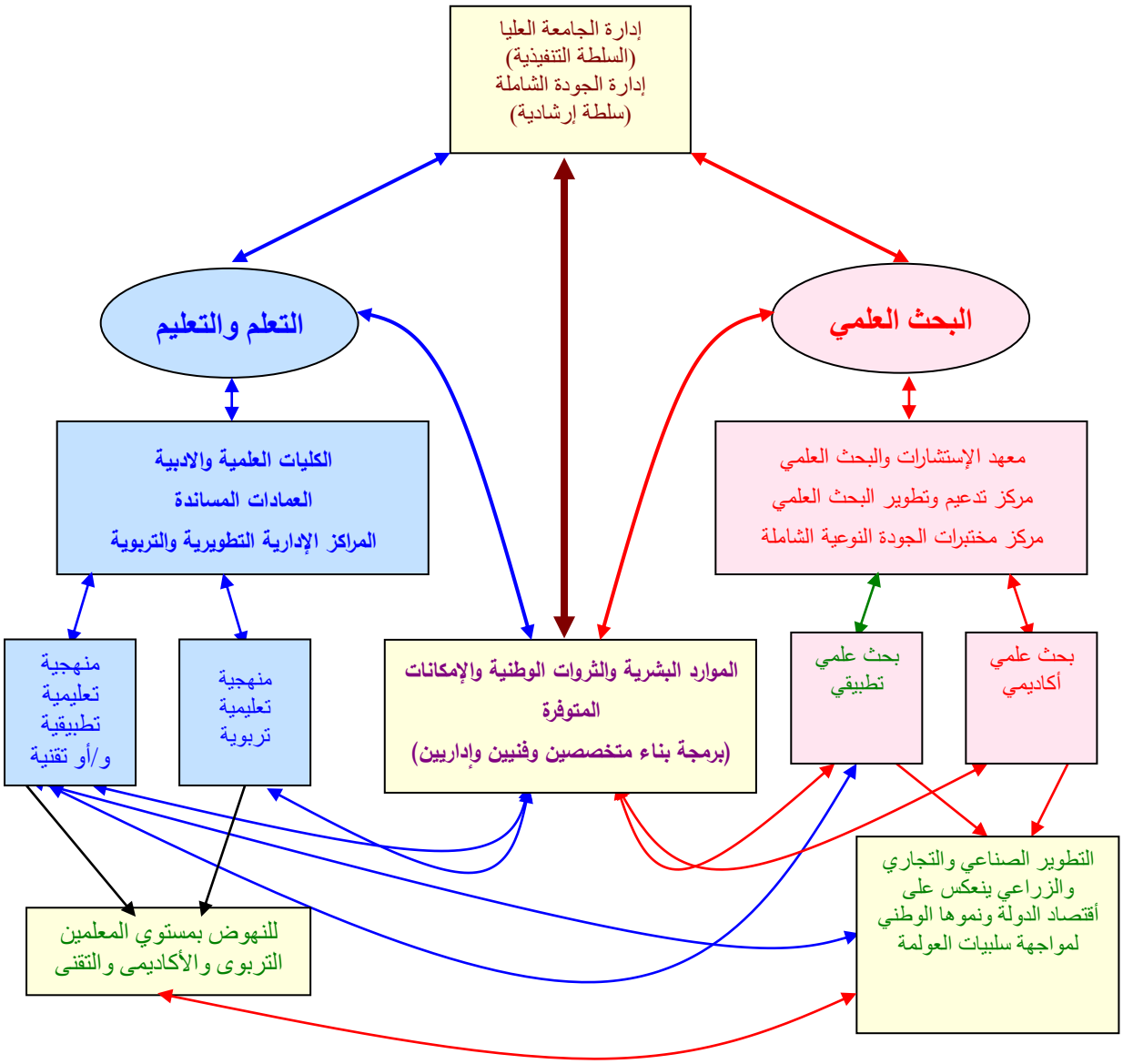

وينعكس مستوي الخريج والبحث العلمي الأكاديمي والتطبيقي على مدى النهضة الصناعية والزراعية والتجارية بشكل عام ، مما يؤدي إلى انتعاش إقتصادي يعطي للدولة الهوية العالمية ليكون لها كلمة مسموعة بين الدول فى عصر العولمة .... لكي تتحكم في عدم قبول سلبيات العولمة التي هي في الأصل مخالفة لأصول قيمنا السامية وعاداتنا وتقاليدنا. ومن هذا المنطلق يمكن إبراز إحدى الوسائل الجيدة لرفع مستوي الدولة لتستطيع مواجهة سلبيات العولمة وهي الربط المنظومي لكل من ماهو موضح بالمنظومة البسيطة التالية مع التركيز في غرز العقيدة الوسطية المعتدلة والأمانة والإنتماء للوطن وتربية الاجيال على أسس تربوية وأخلاقية سامية.

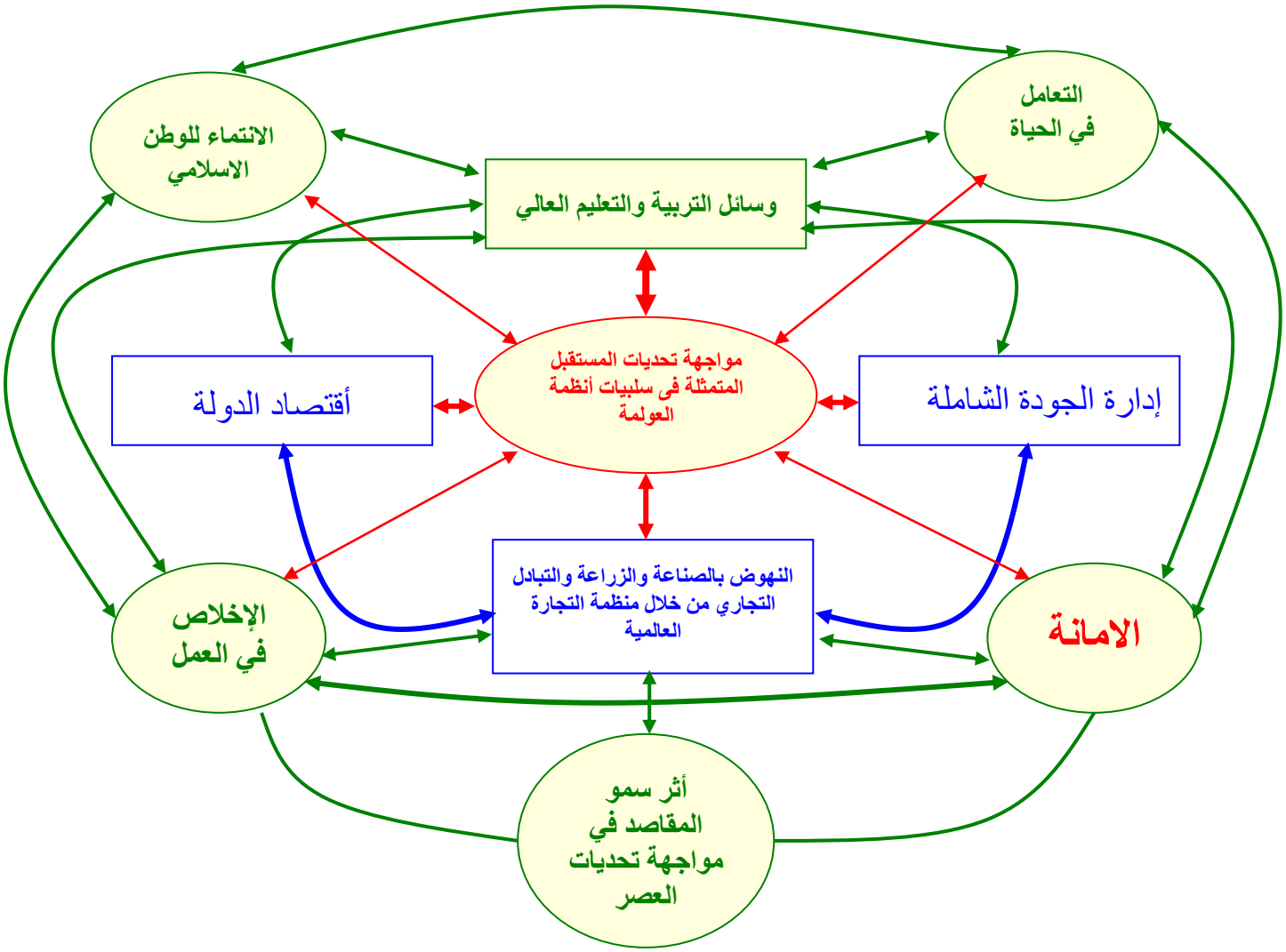

ومن مميزات برامج الجودة الشاملة في إطارها المنظومي إمكانية توقع مستوي التطور الذي يمكن الحصول عليه على المدي القصير والبعيد من واقع تنفيذ برامج إدارة الجودة الشاملة المبنية على أساس:

(١) توصيات الكليات والعمادات ومراكز الجامعة وخططها.

(٢) الأفكار المنظومية المنبثقة من خلال الحوار المبني على أساس الانتماء والامانة وسمو التوجهات في خدمة الجامعة فيما بين إدارات الكليات مع المسؤولين بإدارة الجودة الشاملة.

كما ان استخدام إدارة الجودة الشاملة ومركز التطوير الجامعي للمدخل المنظومي في توجيه التعليم الجامعي وتدريب المعلم والمتعلم يؤدي إلى اكتسابهما مهارات فكرية ومرجعية منهجية بحثية جيدة في صورة منظومية تظهر في:

(١) زيادة كفاءة التدريس والتعلم فى مجالات العلوم بصورة عامة بالجامعة.

(٢) إنماء الفكر المنظومي الشامل عند التفكير فى حل أى مشكلة.

(٣) استيعاب مفاهيم العلوم وسهولة دخولها إلى البنية المعرفية للطلاب.

(٤) الارتقاء بمستوى التعلم إلى المستويات العليا مثل التطبيق والتحليل والتركيب وصولا للابداع.

مما يسلح المتعلم والمعلم على السواء بسلاح يستطيع به مواجهة تحديات العولمة مدعوماً بحدوث قفزة اقتصادية وصناعية وزراعية وتجارية دولية مبنية على الموارد البشرية المتميزة فى الأداء الجيد والثروات الوطنية مثل الذهب الأسود والمعادن والأحياء النباتية والبحرية وغيرها من المصادر الطبيعية، وهبها الله تعالى لنا فلنحافظ عليها للأجيال القادمة.

شكر وتقدير

يقدم برنامج الجودة الشاملة بجامعة الملك عبد العزيز شكره وتقديره لسعادة الأستاذ الدكتور أمين فاروق فهمي لما بذله من مجهودات في وضع بصماته المميزة ومرئياته وتصويباته على هذا البحث.

المراجع

١) رضا على كابلي .... (جلسات العمل بمركز التطوير الجامعي)

٢) رضا على كابلي ..... (ورش عمل إدارة الجودة الشاملة)

٣) رضا على كابلي ..... المقالات المنشورة عن التطوير من خلال برامج الجودة الشاملة.

4) Fahmy, A.F.M., Lagowski, J.J; Pure Appl. Chem., 1999, 71(5) 859 – 863. [15th ICCE, Cairo, Egypt, August, 1998].

5) Fahmy, A.F.M., Lagowski, J.J. Arief, M.H.[16th (ICCE) Budapest, Hungary August, (2000)].

6) Fahmy, A.F.M., Workshop: on New Trends in Chemistry Teaching (NTCT) Organized by IUPAC, UNESCO, Budapest, Hungary August (2000).

7) Fahmy, A.F.M., Lagowski, J.J.; Systemic Approach in Teaching and Learning Carboxylic Acids and Their derivatives, http.//www. Salty2k.com/satlc. html

8) Fahmy, A.F.M., Lagowski, J.J.; "Systemic Approach in Teaching and Learning Aliphatic Chemistry"; Modern Arab Establishment for printing, publishing; Cairo, Egypt (2000).

9) Fahmy A. F. M., El-Hashash M., "Systemic Approach in Teaching and Learning Heterocyclic Chemistry". Science Education Center, Cairo, Egypt (1999).

10) Fahmy A. F. M., Hashem, A. I., and Kandil, N. G.; Systemic Approach in Teaching and Learning Aromatic Chemistry. Science Education Center, Cairo, Egypt (2000).

11) Albar H.A., Khalaf A.A. and Fahmy A.F.M.; "systemic Approach in Organic Chemistry" Part

One. Frontiers of chemical Sciences: Research and Education in the Middle East, Organized by RS.C and IUPAC Program, 2003.

١٢) حسن عبد القادر البار وأمين فاروق فهمي "المنظومة المنهجية في التعرف على التركيب البنائي للمركبات العضوية. وآليات التفاعلات العضوية والعلاقة البحثية بين التركيب والفعالية" ، المؤتمر العربى الثاني حول المدخل المنظومى فى التدريس والتعلم، ٢٠٠٢.

١٣) حسن عبد القادر البار وأمين فاروق فهمي " دور الأكسجين في دورة الحياة" ، المؤتمر العربي الثالث حول المدخل المنظومى فى التدريس والتعلم ، ,٢٠٠٢

١٤) حسن عبد القادر حسن البار وأمين فاروق فهمي "سلسلة المنار السعودي في الكيمياء" للصف أول ثانوي – الفصل الدراسي الأول ، الناشر مؤسسة البار ، ٢٠٠٢ .

١٥) أمين فاروق فهمي وحسن عبد القادر حسن البار "سلسلة المنار السعودي في الكيمياء" للصف أول ثانوي – الفصل الدراسي الثاني ، الناشر مؤسسة البار ، ٢٠٠٢ .

١٦) امين فاروق فهمي ، "الوجه الآخر للعولمة – المنظومية وتحديات الحاضر والمستقبل" ، ٢٠٠٢.

١٧) حسن عبد القادر حسن البار ، "الفكر المنظومي للعولمة" الناشر: دار العلم للجميع للنشر والتوزيع ، ,٢٠٠٣

١٨) حسن عبد القادر حسن البار ، "التعامل مع مخاطر الكيماويات وكيفية التصدي للها" ، ندوة مخاطر المواد الكيماوية بجامعة الملك عبد العزيز ١٩٩٤.